جيمس رستون (الابن)

James Reston

إعداد

أ.د. محمد مؤنس عوض

أستاذ تاريخ العصور الوسطي

كلية الآداب جامعة الشارقة

جيمس رستون (الابن)

James Reston

يتناول هذا البحث بالدراسة، تعريفًا بالمؤرخ الأمريكى جيمس رستون (الابن) ورؤيته لصلاح الدين الأيوبى، ودوره عصر الحروب الصليبية.

ولد المؤرخ الأمريكى المذكور فى ولاية نيويورك New Yorkفى الأول من سبتمبر عام ١٩٤٣م، وقد واصل تعليمه إلى أن حصل على بكالوريوس الآداب فى الفلسفة من جامعة كارولينا الشمالية University of North Carolina at Chapel Hill وقد حضر محاضرات فى جامعة أكسفورد Oxford University بانجلترا.

عمل جيمس رستون كمساعد فى وزارة الخارجية الأمريكية خلال المدة من ١٩٦٤ إلى ١٩٦٥م، ثم عمل فى الجيش الأمريكى خلال الأعوام من ١٩٦٥ إلى ١٩٦٨م، كضابط مخابرات.

لا نغفل هنا ملاحظة إلقائه محاضرات عن الكتابة الإبداعية فى جامعة كارولينا الشمالية خلال الأعوام من ١٩٧١ إلى ١٩٨١م، كذلك صار عالمًا رئيسًا فى مركز ودرو ولسون Woodrow Wilson Center فى واشنطن، كما صار عضوًا فى الأكاديمية الأمريكية فى روما The American Academy in Rome، وصار خبيرًا فى مكتبة الكونجرس؛ وهى التى تعد واحدة من أكبر المكتبات فى العالم ألف جيمس رستون (١٣) كتابًا، وعدة مسرحيات ومن مؤلفاته نذكر:

1-Galileo , A life,1994.

– جاليليو، سيرة حياة.

2- The Last Apocalypse ,Europe in The Year 1000,A.D.,1998.

– الملحمة الأخيرة، أوروبا فى عام ١٠٠٠، ١٩٩٨م.

3- Warriors of God, Richard the Lion heart, Salah al-Din in the Third Crusade, 2000,

– محاربون فى سبيل الله، ريتشارد قلب الأسد، صلاح الدين فى الحملة الصليبية الثالثة، ٢٠٠٠م، (ترجم إلى العربية على يد رضوان السيد وصدرت بالرياض عام ٢٠٠٢م ٢٠٠٢م

4- Dogs of God, Columbus, The Inquisition, and The defeat, of The Moors 2005.

– كلاب الإله، كولومبوس، ومحاكم التفتيش، وهزيمة المسلمين ٢٠٠٥م، (تمت، ترجمته إلى العربية تحت عنوان: محاكم التفتيش فى إسبانيا، – كلاب الإله – سقوط الأندلس، واكتشاف كولومبوس لأمريكا، ت. مجيد ماجد العمرى، ط. الرياض ٢٠٠٩م).

5- Defenders of Faith Charles V, Solomon the Great and the Battle for Europe 1520-1536, 2009.

– حماة الإيمان شارل الخامس، سليمان العظيم والمعركة من أجل أوروبا ١٥٢٠– ١٥٣٦م، ٢٠٠٩م.

6- luther,s Fortress and his reformations under the siege, 2015.

– حصن لوثر، مارتن لوثر ومعركته الإصلاحية فى ظل الحصار، ٢٠١٥م.

بداية، من الممكن الاختلاف مع المؤرخ الأمريكى المذكور؛ فعنوان كتابه:" Warriors of God أى مقاتلون فى سبيل الله – يحوى مغالطة واضحة؛ إذ إنه يساوى بين المعتدى والمُعتدى عليه!!، فصلاح الدين بالفعل كان مقاتلًا فى سبيل الله، أما ريتشارد قلب الأسد (١١٨٩–١١٩٩م)، فتاريخه الدموى فى إنجلترا وخارجها يدل بجلاء أنه كان مقاتلًا فى سبيل نفسه، ومطامعه، ومصالحه السياسية، ومن الصعب التصور أن يوضع الاثنين فى سلة واحدة!!، وبالتى فإن عنوان الكتاب منذ البداية يحوى مغالطة واضحة علينا التحذير منها، حتى لا يقع القارئ فى منزلق القولبة دون

أن ندرى، والأمر الواضح أن المؤلف منذ العنوان، يعبر عن المركزية الغربية – أوروبية أو أمريكية – وهى التى لا ترى إلا نفسها فى المرآة!!.

تعرض جيمس رستون لأمر إخضاع صلاح الدين الأيوبى لدمشق عاصمة بلاد الشام التاريخية عام ١١٧٥م، فى أعقاب وفاة نور الدين محمود (١١٤٦-١١٧٦م)، وفى ذلك قال:" بوصول صلاح الدين سنة ١١٧٥م وفى الثامنة والثلاثين من عمره إلى ملك دمشق والقاهرة، اختفى الانقسام الذى استمر قرونًا "(٢).

هكذا، أدرك المؤرخ الأمريكى المذكور أهمية ذلك الحدث التاريخى من خلاله تأكد لنا مفهوم الشامصر Syro– Egypt؛ أى الرابطة الجغرافية والتاريخية بين الشام ومصر عبر عصور التاريخ، وقد لاحظ أن ذلك الإنجاز إنتهى معه الانقسام الذى ظل أمدًا طويلًا.

من ناحية أخرى، لاحظ أهمية إخضاع صلاح الدين الأيوبى لمدينة حلب، حاضرة شمالى بلاد الشام ذات الموقع الجغرافى العبقرى، والتاريخ الحافل بالعراقة!!، وفى ذلك قال:" فى شهر صفر / حزيران (يونيو) ١١٨٣م، وبعد وفاة الأمير الطفل (الصالح إسماعيل)سيطر السلطان على حلب، وكانت تلك الخطوة إضافة لأهمية المدينة العسكرية، أبعاد رمزية مؤثرة، كانت حلب تسمى القلعة الشهباء، وقد انتشرت بين الجمهور مقولة مؤداها أن السيطرة على حلب ستكون مقدمة لفتوحات أعظم" (٣).

واقع الأمر، قصد جيمس رستون الابن بذلك وحدة القاهرة، ودمشق، وحلب معًا على نحو سيؤدى حتمًا إلى تحرير بيت المقدس، ولا نغفل هنا ملاحظة أن أحد الشعراء المعاصرين لصلاح الدين الأيوبى، وهو القاضى محيى الدين بن الزكى حيث قال:

وفتحكم حلب بالسيف فى صفر مبشرًا بفتوح القدس فى رجب

وهو الأمر الذى حدث فعلًا، مما دل على فراسة ذلك الشاعر الذى توقع ما أكدته الأقدار!!.

من ناحية أخرى، تناول الأحداث التى وقعت فيما قبل معركة حطين عام ١١٨٧م، وفى ذلك قال:" حوالى سنة ١١٨٧م، كان العرب قد نموا مشاعر عدوانية مماثلة ضد الغزاة الأوروبيين، ولم يسهموا بأية إضافة فى ثقافة الشرق الأوسط، لا مؤسسات علمية، ولا موسيقى، بل مآسى، وسفك دماء [٤] ".

للتعليق على هذا الرأى نورد التالى:

أولًا: اتجه ذلك المؤرخ للتعامل مع الأحداث على أنه صراع بين العرب والصليبيين والمنطق التاريخى يقول:" أنه كان بين المسلمين وليس العرب وأعداءهم المذكورين، وتحويل الصراع إلى الجانب القومى يخالف الواقع التاريخى حينذاك.

ثانيًا: استخدم تعبير الشرق الأوسط Near East، وهو مصطلح استعمارى بريطانى مثله فى ذلك مثل الشرق الأدنى، والشرق الأقصى، وكان الهدف منه عدم استخدام تعبير العالم الإسلامى، وبالتالى تغيير هوية المنطقة من خلال مصطلح تغريبى.

ثالثًا: أشار إلى عدم إسهام المسلمين فى أية إضافة ثقافية، وهو اتهام غير دقيق؛إذ كان هناك مؤرخون لديهم مثل فوشيه الشارتري[٥] Fucher of Chartres، ووليم الصورى William of Tyre وغيرهم من المؤرخين الصليبيين، كما كانت لهم موسيقاهم الكنسية، لكنهم لم يحققوا ما لدى المسلمين من إنجاز حضارى بارز وبالتالى؛ نصل إلى حل توافقى؛ إذ إن الصليبيين كانت لديهم مظاهر التحضر، خاصة بعد اتصالهم بالمسلمين؛ إذ إن حقبة الحروب الصليبية ذاتها على مدى القرنين ١٢، ١٣م كانت من معابر الحضارة الإسلامية إلى أوروبا، إلا إنهم إفتقدوا "القوة الناعمة " softs Power التى توافرت لدى المسلمين، حيث حظيت بلاد الشام ومصر بالعديد من المراكز العلمية وآلاف العلماء والفقهاء والأدباء، ويكفى مطالعة ما ألفه ياقوت الحموى [٦] (ت ١٢٢٨م) فى كتابه إرشاد الأريب فى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء، وابن أبى

أصيبعة [٧] (ت ١٢٧١م)و كتابه عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، وابن خلكان[٨] (ت١٢٨٢م) وكتابه وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حتى يتأكد لنا ذلك الأمر بجلاء كمًّا وكيفًا.

وفى تقديري، أن القوة الناعمة لدى المسلمين حينذاك شاركت فى إفشال المشروع الصليبى فى بلاد الشام دون إغفال العوامل المتعددة الأخرى الداخلية والخارجية.

من الملاحظ، أن هزيمة صلاح الدين الكبرى لا تنطبق على الواقع فى شيء، حقيقة أن جيشه هزم فعلًا فى تلك المعركة التى عرفت بمعركة الرملة أو تل الجزر، إلا إنه حافظ على قواته من بعدها ولم يتمكن الصليبيون من تحقيق مكاسب فعلية على الأرض بعد ذلك الانتصار المحدود.

لا نغفل كذلك أن صلاح الدين بعد ذلك بعامين أى عام ١١٧٩ م، تمكن من إلحاق الهزيمة بالصليبيين فى معركة مرجعيون بجنوبى لبنان.

فإذا كانت تلك المعركة المحدودة والثانوية يعبر عنها ذلك المؤرخ بأنها هزيمة كبرى، فماذا عساه أن يقول عن كارثة حطين التى حلت بالصليبيين فى عام ١١٨٧م ؟!!.

كما تحدث عن مغامرة أرناط الفاشلة للهجوم على المدينة المنورة عام ١١٨٣م، وقد علق على ذلك قائلًا:" أثار ذلك موجة من الرعب والغضب فى العالم الإسلامى الذى بقى رد فعله بطيئا على أى حال [٩].

واقع الأمر، من الممكن نقد ذلك التصور؛ إذ من المستبعد منطقيًّا، تأخر رد فعل الأيوبيين عن تلك الحادثة الشنعاء التى هزت أرجاء العالم الإسلامى، خاصة أنها حدثت خلال موسم الحج، وأتصور أن هدف ذلك المؤرخ الأمريكى – الذى عمل

كضابط مخابرات – إشعار المسلمين دومًا بأنهم متأخرين حتى فى الدفاع عن رسولهم الكريم وسيطًا وحديثًا، وهو أمر يرفضه منطق التاريخ نفسه.

واقع الأمر، لا يفهم سلوك ذلك الفارس الصليبى المتعصب أرناط بدون الزاوية النفسية، إذ ظل فى أسر المسلمين (١٦) عامًا، والمرجح أنه طوال الأعوام الطويلة تولدت لديه رغبة سادية للانتقام والثأر من المسلمين بصورة غير مسبوقة، لذلك نجده عندما خرج من الأسر، توهم أن الأمور لا تزال كما هى عندما تم أسره من قبل دون إدراك أن الأمور قد تغيرت؛ وإذ ظهر قائد مسلم حازم وحد مصر وبلاد الشام تحت سلطته وأعنى به صلاح الدين الأيوبى.

لا نغفل هنا ملاحظة أن ذلك الفارس الصليبى المتعصب لم ينفرد بذلك الأمر؛ إذ إن هناك أيضًا الملك الفرنسى لويس التاسع Louis IX (١٢٢٦-١٢٧٠م) الذى تعرض للأسر بالمنصورة فى دار القاض فى ابن لقمان عام ١٢٥٠م، على نحو أوجد لديه عقدة نفسية، انعكس أثرها على حملته على تونس عام (١٢٧٠م)، أى بعد عشرين عامًا بصورة أكدت أهمية التحليل النفسى فى فهم عقد قادة ذلك العصر من الصليبيين خاصة فيما يتصل بالأسر.

تجدر الإشارة إلى وصف جيمس رستون (الابن) لأرناط على أنه مجنون علينا تفهمه ليس من الصحة العقلية، بل من خلال تعصبه؛ لأنه كان مدركًا تمامًا لأفعاله التى أظهرت مدى تعصبه المرضى.

من ناحية أخرى، تناول أمر معركة حطين التى جرت وقائعها فى يوم ٤ يوليو ١١٨٧م، وانتصر فيها المسلمون بقيادة صلاح الدين الأيوبى انتصارا حاسًما على الصليبيين، وقد ذكر عنها:" ظلت صيحات لا إله إلا الله " تتردد فى ساحة المعركة التى تناثرت فيها الأشلاء أيامًا عدة، وجمع الأسرى معًا مربوطين بالحبال، وسير بهم تجاه دمشق، وهناك بيع الجندى الراجل عبدًا بثلاثة دنانير، بل إن أحدهما قبض ثمن أسيره حذاء " فقيل له فى ذلك، فقال: أردت أن يذكر ذلك."[١٠]

تشير إشارات المؤرخ فى أمر العبارات الدينية التى ترددت فى ساحة المعركة، وكذلك فى المعارك السابقة واللاحقة، وأبرزها جميعًا الله أكبر، بينما كان الصليبيون يرددون صيحات تحوى أسماء القديسين الحاميين لبلادهم مثل St George أو القديس جورج وهى صيحة كان الفرسان الإنجليز فى جيش ريتشارد قلب الأسد يرددونها فى معاركهم ضد المسلمين (١١).

من ناحية أخرى، تناول ذلك المؤرخ الأمريكى أمر فتح صلاح الدين وجيشه المظفر لبيت المقدس على نحو سلمى، وفى ذلك قال:" هكذا سلك جنود صلاح الدين سلوكًا مثاليًّا فى احتلالهم للقدس سنة ١١٨٧م، وقد نظر صلاح الدين لنفسه وسمعته بعدم الانتقام لما فعله الصليبيون فى الحرب الأولى سنة ١٠٩٩م؛ وبسبب حمايته لكنيسة القيامة وأماكن مسيحية أخرى كثيرة، سيتذكر الجميع تسامحه تجاه أهل الأديان الأخرى، وتجاه الأماكن المقدسة للدين المسيحى، ويبدو أن أفعاله اعتبرت علمًا ونموذجًا على كيفية سلوك المسلم الصالح؛ فسبب عفوه ووجوه الخير المتعددة فى طبيعته، وسلوكه تجاه أعدائه، سيظل مشهورًا إلى الأبد باللطف والتسامح والحكمة".(١٢)

هكذا، أقر ذلك المؤرخ بأخلاق فارس الإسلام النبيل الذى دخل التاريخ إلى الأبد من بوابة التسامح خاصة تجاه أهل الأديان الأخرى، وبالتالى أقر بما هو مؤكد تاريخيًّا ووما أجمع عليه المؤرخون فى الغرب والشرق على حد سواء.

كما تناول أمر حصار عكا خلال أحداث الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩-١١٩٢م) الذى مثل أطول معارك ذلك العصر، حيث دامت أحداثه من عام ١١٨٩إلى ١١٩١م، وفى هذا الشأن، تحدث عن دور مهم للحمام الزاجل، على نحو أكد على أن التاريخ -عمومًا -ليس تاريخ بشر فقط بل تاريخ طيور وحيوانات وحشرات أيضًا، وفى ذلك قال:" كان هناك جندى مسلم درب فرقة من الحمام الزاجل على حمل الرسائل، والعودة بها وشيد بيت حمام واسعًا من القصب لرسله فى مكان غير بعيد عند خيمة صلاح الدين، وأصبحت هذه الطيور من أبطال القضية المشهود

لهم، وأثنى عليها لاحقًا لإخلاصها فى خدمتها، وكتب أحد المؤرخين العرب يقول:"كانت تلك الطيور وفية تحفظ الأسرار، وتضمن وصول الأخبار، وعمل الرسائل، وأظهرت أنها مخلوقات كريمة مثل أفضل النبلاء، كانت تتحدى الأخطار ولا ترتكب أى خطأ، وتقدر باعتبارها ممتلكات ثمينة [١٣].

هكذا، نستطيع القول إن مجد صلاح الدين الأيوبى، شارك فيه عدد من الأفراد الثانويين الذين لا نعرف أسمائهم مثل ذلك الجندى الذى عشق الحمام الزاجل.

من بعد حصار عكا، تعرض جيمس رستون لموقف ريتشارد قلب الأسد من حامية عكا، وأراها فرصة سانحة لكى ندرك كيف كتب عن هذه المذبحة المروعة التى وقعت عام ١١٩١م، وقد قال: " فى ٢٢ آب (أغسطس) ١١٩١م طلب الملك الصليبى الذى دفعه ورعه للمجيء واسترجاع الأرض الموعودة للمسيحية وليسوع، جمع ٢٧٠٠ جندى مسلم، وامتد هؤلاء إلى خارج المدينة على طريق الناصرة، حيث نظموا فى صف فى منبسط بين موقع الجيش المسيحى الأمامى على تل العياضية، وموقع الجيش المسلم الأمامى على تل كيسان، وهناك تم قتلهم الواحد تلو الآخر؛ بل تعليقًا على المذبحة قال كبير شعراء الحملة: هكذا تبارك الخالق"[١٤]!

هنا، يظهر الوجه الصليبى الحقيقى لذلك الضابط الأمريكى الذى يكتب التاريخ؛ إذ إنه لا يظهر ذلك الملك الإنجليزى السفاح بأية صورة موضوعية، وكأنه يفتك بحشرات وليس ببشر حقيقيين من حقهم الحياة بعد صراع دام عامين كاملين داخل أسوار عكا!!.

بل وصل به الأمر حد إلى أن يستشهد بمن أسماه كبير شعراء الحملة – ولعله أمبرواز [١٥] Ambroise – وأورد عباراته " هكذا تبارك الخالق"، وكأنه يمتدح ذلك السلوك الدموى العدوانى من جانب ذلك الملك الإنجليزى السفاح الذى لا يكتب تاريخه دون سفك الدماء.

من ناحية أخرى، يحاول ذلك المؤرخ جاهدًا إظهار ريتشارد قلب الأسد على أنه فارس صليبى تقى وورع وخرج للمشاركة فى المشروع الصليبى الذى دفعه ورعه للمجيء واسترجاع الأرض الموعدة للمسيحية ويسوع.

واقع الأمر، يؤكد المؤرخون فى تاريخ الحروب الصليبية، ومنهم باحثون غربيون موضوعيون أن ملوك الغرب الأوروبى الذين شاركوا فى تلك الحرب لم يكن اشتراكهم من قبيل التقوى – كما توهم مؤلف محاربون فى سبيل الله – بل من خلال الدافع السياسى والاقتصادى إذ أرادوا تكوين أملاك لهم فى شرقى البحر المتوسط Levant، وعلينا عدم مجاراة كُتاب العصور الوسطى الذين أرادوا الدعاية لملوكهم من خلال كتاباتهم التاريخية حيث اختلطت فيها الدعاية بجوار الحقيقة التاريخية.

هكذا، حرص ذلك المؤرخ– على الرغم من امتداحه لصلاح الدين الأيوبى فى أكثر من موضع فى كتابه، على تجميل وجه ريتشارد قلب الأسد – وأراد أن يظهر نفسه بمظهر المؤرخ الموضوعى، إلا إن روحه الصليبية تتكشف من بين ثنايا سطور كتابه من خلال القولية واعتساف الحكام والأفكار الجاهزة المسبقة، والنظرة الاستعلائية نحو المسلمين ضحايا مذابح الصليبيين.

بل وصل به الأمر إلى امتداح ريتشارد قلب الأسد من خلال إنسانيته!!، ويكفى للتدليل على ذلك قوله فى ظروف الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩-١١٩٢م)، "فى الأيام التالية اتسمت أعمال ريتشارد فعلًا بالكثير من الإنسانية فقد بذل جهدًا لإخفاء استيائه من صلاح الدين وأرسل بالمقابل يطلب الثلج والفاكهة من السلطان خصوصًا فاكهة الدّراق والأجاص مع الثلج، وكانت هذه الفاكهة مفضلة لديه، استجاب صلاح الدين لهذا الطلب أسباب عسكرية راسخة وعلم من الفاكهانى لديه أن الصليبيين يركزون جهودهم على إصلاح تحصينات القلعة مهملين جدران المدينة التى لحقها الضرر من جراء الهجمات العسكرية " [١٦].

للتعليق على هذا النص نورد التالي:

أولًا: هل عندما يقوم ذلك الملك الإنجليزى الدموى بإرسال من يطلب من فارس الإسلام النبيل صلاح الدين الأيوبى، إحضار بعض الفاكهة، هل هذا يدل على أنه يقوم بالكثير من الإنسانية!!، أنه بذلك بذل جهدًا لإخفاء استيائه من ذلك القائد البارز ؟ فأى إنسانية مع سفاح تل العياضية ؟ أنه ازدواج المعايير الذى يظهر بجلاء من خلال سطور كتاب ذلك المؤرخ الأمريكى الذى يحاول – فاشلًا– تجميل وجه ذلك الملك الإنجليزى أمام القارئ العربى الذى يملك خلفية حقيقية عما حدث.

ثانيًا: يحاول المؤرخ المذكور التشكيك فى إنسانية صلاح الدين عندما أرسل لذلك الملك الفاكهة ومعه طبيبه الخاص موسى بن ميمون Mainendes (ت١٢٠٤م) لعلاجه، وقد أغفل متعمدًا تلك الزاوية، فتوهم أن ذلك كان من خلال دافع عسكرى لجمع معلومات عن الصليبيين!!، وهو أمر أبعد ما يكون عن الموضوعية الواجبة، لقد كان صلاح الدين فارسًا نبيلًا فعلًا عندما أرسل الفاكهة إلى خصمه اللدود ومعه طبيبه لعلاجه، لكن هى النفسية المريضة التى تقلب الأمور رأسًا على عقب إرضاءً لروح صليبية فى كتابات جيمس رستون هذا، لإرضاء للقارئ الغربى.

على أية حال إنهى ذلك المؤرخ الذى حاول أن يضع صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد فى سلة واحدة، انهى كتابه قائلًا:" تقول الرواية:إن السلطان استدعى حامل رايته الذى رافقه فى العديد من المعارك العظيمة وقال له:" أنت يا من حملت رايتى فى الحروب، احمل الآن راية موتى، ولتكن خرقة وضيعة على رمحك وتدور بها فى كل أنحاء دمشق معلنًا: عجبًا لموت ملك الشرق، لم يستطع أن يأخذ معه سوى تلك الخرقة [١٧].

يلاحظ هنا، أن تلك الرواية، لم ترد فى تلك المصادر العربية المعاصرة، ومن المرجح ورودها من خلال الخيال الشعبى كى تكون سيرته بمثابة موعظة لكى طامع

فى الدنيا، فهذا الفاتح البارز ذهب إلى قبره دون امتلاك شيء!! ولكن سيرته العطرة صارت ولا تزال تفوح بالقيم الإنسانية الرائعة.

تلك صورة صلاح الدين الأيوبى لدى ذلك المؤرخ الأمريكى، وهناك بعض الملاحظات التالية تجمل على النحو التالي:

أولًا: حاول ذلك المؤرخ تقديم صورة متوازنة بين الفارسين البارزين لعصر الحروب الصليبية، إلا إن كتاباته تكشفت عن تعصب صليبى واضح لم يتمكن من إخفائه، وقد ظهر ذلك جليًّا فى أكثر من موضع فى كتابه، خاصة مع قراءته بتمهل وإمعان من جانب مؤرخ متخصص.

ثانيًا: احذر تمامًا أن يكتب تاريخ صلاح الدين الأيوبى ضابط مخابرات أمريكى، إذ أن مثل تلك الكتابات دومًا تكون هناك أهداف مستترة من ورائها، وفيها يتم الخلط –بدهاء– بين الصالح والطالح، وهنا تكمن خطورتها.

مثل هذه الكتابات – مع تقديرى للمترجم البارع / الدكتور رضوان السيد الذى قدم لنا درسًا فى حرفية الترجمة من الضرورى بمكان وجود مؤرخ متخصص يرد على ما فيها من أغلاط مقصودة هدفها النيل من القائد الرمز، وأعنى به صلاح الدين الأيوبى حتى لا يتم غسل أدمغة العناصر الشابة من الأجيال الصاعدة خدمة لأهداف الغرب.

ثالثًا: جاءت دراسة جيمس رستون (الابن) دونما توثيق على الرغم من قائمة المصادر والمراجع الثرية الوافدة فى نهايتها، لذلك لا تعد كتابته أكاديمية بالصورة المتعارف عليها على الرغم من أهميتها بطبيعة الحال، لأنها تعبر عن وجهة نظر غربية حديثة تجاه ذلك الصراع الملحمى المعروف بالحروب الصليبية خلال حقبة العصور الوسطى.

رابعًا: ألفت نظر القارئ العربى الحصيف إلى أن الدراسة التى بين أيدينا "مسيسة " من الألف إلى الياء، ولا أدل على ذلك من زيارة المؤلف إلى إسرائيل وعقد المقارنات السطحية منذ الصفحات الأولى لكتابه الضخم (٥٢٧) صفحة ولننظر لما ورد فى الصفحات الأولى منه حيث قال:" على مدى القرون الماضية، ظلت قلعة بوفور الصليبية (قلعة الشقيف [١٨]) فى جنوب لبنان موقعًا إستراتيجيًا، وجائزة للجيوش المنتصرة فى الصراع على الشرق الأوسط، ولذلك فقد تغير المسيطرون عليها عدة مرات، وفى عام ١٩٨٢م توحدت من جديد؛ وهذه المرة من جانب الجنرال أرييل شارون، تمامًا كما فعل صلاح الدين منذ تسعة قرون، وفى مايو (آيار) سنة ٢٠٠٠م أخلى الإسرائيليون القلعة، كما فعل رينولد بن صيدون عام ١١٨٧م، ، حين سارع الفلسطينيون إلى اقتحام القلاعة مهللين، وفى إسرائيل المعاصرة، فإن الجادة رقم (١) المعروفة باسم باب الواد بين سهل الرملة والقدس – تخترق تلك التلال التى اجتازها ريتشارد فى حملته بإتجاه القدس سنة ١١٩٢م، وماتزال تنتشر متهالكة على جوانب تلك الطريق بقايا العربات المدرعة وناقلات الجند التى دُمرت فى " حرب التحرير " الإسرائيلية ١٩٤٨م؛ وفى هذا السياق، قال لى صديقى ديفيد باسوف، أحد المشاركين الأوائل فى الصراع الصهيونى على فلسطين، والذى صار فيما بعد أستاذًا للتاريخ بالجامعة العبرية: " إن الفرق أننا أنجزنا ذلك، أما هو فلم يفعل [١٩]

لست فى حاجة إلى العبارات التى يكتبها ذلك المؤرخ، الذى يعتبر حرب ١٩٤٨م، وهى حرب السطو على فلسطين حربًا إسرائيلية للتحرير!!، وبالتالى كان بوقًا دعائيًا للإسرائيليين وأتصور أن هذا هو الهدف الأصلى من وراء كتابه هذا!!

ثم يضع عبارات ماكرة كى تنطلى على القارئ فيقول:" إسرائيل المعاصرة!! واتساءل وهل كان هناك وجود إسرائيل قديمة قبل ذلك ؟ لقد أكد الأثريون بما فيهم

إسرائيليون وهم فكرة الهيكل المزعوم، وتأكد لهم أنهم كانوا يبحثون عن سراب منذ عام ١٩٦٧م إلى يومنا هذا، وجاءت البحوث الأثرية لتؤكد عروبة القدس.!!.

أضف إلى ذلك، عدم وجود حق تاريخى لليهود فى فلسطين؛ إذ إن الذين قدموا لاستيطانها فى القرن العشرين وصولًا إلى عام ١٩٤٨م، لم ينتموا إلى يهود موسى عليه السلام بل كانوا امتدادًا ليهود الخزر الذين اعتنقوا اليهودية فى القرن ال ٨ م وسكنوا المنطقة الواقعة بين بحر قزوين Caspian Sea والبحر الأسود Black Sea، وهكذا يتأكد لنا من خلال البحوث الأنثروبولوجية [٢٠] والتاريخية الموضوعية هكذا، تؤكد أن تعبير إسرائيل المعاصرة تعبير ماكر مختلق، ومسيس مما أكد عدم موضوعية صاحبه.

لقد تأكد لنا من خلال الكاتب المذكور؛ أن مؤلفه سعى إلى تحقيق أهداف مستترة وربط بين المشروع الصليبى فى العصور الوسطى والمشروع الصهيونى فى عصرنا الحالى، وبالتالى قدم دراسة مسيسة لكى تخدم أهدافًا محددة اتضحت لنا من خلال دراسته؛ إذ كان مؤيدًا لإسرائيل حتى النخاع.!!

ذلك عرض عن صورة صلاح الدين الأيوبى (١١٣٨- ١١٩٣م لدى المؤرخ الأمريكى جيمس رستون (الابن).James Reston

الهوامش

(١) عن جيمس رستون الابن أنظر:

1- Jump up:"Alone Against Angry voice ". La Crosse Tribune.Wisconic ,la Crosse January 21,1973.P.28 Retrieved March 31,2017.- via Newspapers.com.
2- Jump up:"St.Albans School for Boys Class of 1959 Yearbook.
3- Jump up:" Author"., la Crosse January 21,1973.P.28 Retrieved March 31,2017.- via Newspapers.com.
4- Jump up:" James Reston Jr Wilson Center Exports Wilson Center.
5- Jump up:":" James Reston Biography".
6- -Jump up:" Maeve Reslon ".CNN. Archives from Original on I April 2017.Retrieved I April 2017.
7- Jump up:" manhola Dargis (2008-12-05)." Mr.Nixon" New York Times Retrieved 2009-02-04.
8- Jump up:"polly Morrice (2006-03-26)." What Not to Expect "New York Times Mr.Retrieved (2009-02-04).
*James Reston Jr.discusses " Dogs of God "at The Massachusetts School of Law.
*Appearances on C- SPAN.
Book notes interview with Reston on The Lone Star: The life of Jahn Connelly.December 17.1989.
<img src –" //en.Wikipedia.org /wiki/ Special: Central Auto Login/start ?type =1 x1"alt" ="title=" Retrieved from http://en.Wikipedia.org/ w/index.php?title = James Reston Jr &oldid = 777120783Categories

(٢) جيمس رستون (الابن) مقاتلون فى سبيل الله، صلاح الدين الأيوبى وريتشارد قلب الأسد والحملة الصليبية الثالثة، ت. رضوان السيد، ط. الرياض ٢٠٠٢م، ص٣٠–ص٣١.

(٣) نفسه، ص ٣١.

(٤) نفسه، ص٤٠ –ص٤١.

(٥) عن فوشيه الشارترى انظر:

Fucher of Chartres , A History of The Expedition to Jerusalem 1095-1127,Trans.Franses Ritae Ryan (Sisters of St. Joseph),ed Harold Fink ,Tennessee 1969.

أيضًا الترجمة العربية الممتازة:

فوشيه الشارترى، تاريخ الحملة إلى القدس، ت. زياد العسلى، ط. عمان ١٩٩٥م، مفيد الزيدى، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، ط. عمان ٢٠٠٤م، ص٢٢٩، محمد مؤنس عوض، معجم

أعلام عصر الحروب الصليبية فى الشرق والغرب، ط. القاهرة ٢٠١٥م، ص٤١٦ (يقوم الآن الباحث بولا جمال بجامعة القاهرة بإعداد رسالة للماجستير عن فوشيه الشارترى مؤرخًا.

(٦) عن ياقوت الحموى انظر:

ابن المستوفى، تاريخ أربيل، تحقيق سامى الصفار، جـ١، ط. بغداد ١٩٨٠م، ص٣١٩-ص٣٢٤، ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، جـ٦، ط. بيروت ١٩٧٨م، ص١٢٧، يوسف أحمد ياسين، بلدان الأندلس فى أعمال ياقوت الحموى الجغرافى ٥٧٤- ٦٢٦هـ / ١١٧٨- ١٢٢٩م، ط. العين ٢٠٠٤م، ص٤٥- ص٧١، عبد المنعم الشامى، مدن مصر وقراها عند ياقوت الحموى، ط. الكويت ١٩٨١م، عباس فاضل السعدى، ياقوت الحموى، دراسة فى التراث الجغرافى العربى مع التركيز على العراق فى معجم البلدان، ط. عمان ١٩٩٢م، السيد محمد أحمد، ياقوت الحموى أديبًا وناقدًا، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر عام ١٩٨١م.

(٧) عن ابن أبى أصيبعة انظر:

ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، ط. بيروت، ب-ت. ص٥-ص٦، أسامة عانوتى، ابن أبى أصيبعة، تعريف وتقديم، ط. بيروت ١٩٧٥م، محمد مؤنس عوض، من إسهامات الطب العربى الإسلامى فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص١٠٤-ص١٠٦، فرات خطاب، الكحالة عند العرب، ط. بغداد ١٩٧٥م، ص٣٨- ص٣٩، محمود الحاج قاسم، الطب عند العرب والمسلمين، تاريخ ومساهمات، ط. جدة ١٩٨٧م، ص٨٦- ص٨٧

(٨) عن ابن خلكان انظر:

الصفدى الوافى بالوفيات، تحقيق إحسان عباس، جـ٧، ط. بيروت ١٩٦٩م، ص٣٠٨، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، جـ٧، ط. القاهرة ب- ت، ص٣٥٣، فاروق عمر فوزى، التدوين التاريخى عند المسلمين، ط. العين ٢٠٠٤م، ص١٨٣- ص١٨٤.يسرى عبد الغني، معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثانى عشر الهجرى، ط. بيروت ١٩٩١م.

(٩) جيمس رستون (الابن)، المرجع السابق، ص ٥١.

(١٠) نفسه، ص١٠١.

(١١) ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، ط. القاهرة ١٩٦٤م، ص١٨٣، نبيلة مقامى، فرق الرهبان الفرسان فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر، ط. القاهرة ١٩٩٤م، ص٦٣، محمد مؤنس عوض، فى الصراع الإسلامى – الصليبى، معركة ارسوف (١١٩١- ٥٨٧هـ)، ط. القاهرة ١٩٩٧م.

(١٢) جيمس رستون (الابن)، المرجع السابق، ص ١٣٧.

(١٣) نفسه، ص ٢٣٧.

(١٤) نفسه، ص ٢٦٩.

(١٥) أمبراوز Ambroise؛ شاعر نورمانى معاصر لأحداث الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩-١١٩٢م)، ألف كتابًا بعنوان تاريخ الحرب المقدسة I, Histoire de la Guerre Sainte وقد ضمته منظومة شعرية بلغت أبياتها (١٢٣٥١)، تناول فيها على نحو مفصل سيرة الملك الإنجليزى ريتشارد قلب الأسد Richard Lion Hatrted (١١٨٩- ١١٩٩م)، عنه أنظر:

Ambroise , The Crusade of Richard Hatrted of Lion , Trans , M.J. Hubert of New York 1943.

M. Ailes , M. Barber ,The History of War ,Ambroise ,s Estaire de la Guerre Sainte, Woodbridge 2003.

نظير حسان سعداوى، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبى، ط. القاهرة ١٩٦٢م. محمد مؤنس عوض، معجم عصر الحروب الصليبية فى الشرق والغرب، ط. القاهرة ٢٠١٥م، ص٤٧٠- ٤٧١.

(١٦) جيمس رستون (الابن)، المرجع السابق، ص ٤٣٠.

(١٧) نفسه، ص ٢٥٩.

(١٨) قلعة شقيف أرنون انظر:

سرور عبد المنعم، الدور السياسى لحصن شقيف أرنون فى الصراع الصليبى – الإسلامى، رسالة ماجستير غير منشورة ن كلية الآداب – جامعة طنطا عام ١٩٩٧م.

(١٩)عن حرب عام ١٩٤٨م انظر:

B. Morris ,The Birth of The Palestinian Refugee problem Revisted , Cambridge University ,2004.

والترجمة العربية بنى موريس، مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، ت. عماد عواد، سلسلة عالم المعرفة، مجلدان، ط. الكويت ٢٠٠٣م.

I.Pappe , The Ethnic Cleansing of Palestinian ,Oxford 2006.

والترجمة العربية إيلان بابيه، التطهير العرقى فى فلسطين، ت. أحمد خليفة، ط. رام الله ٢٠١٢م.

B. Morris , Israel Border Wars , 1949-1956, Oxford 1993.

N. Masala ,Expulsion of The Palestine: The Concept of " transfer " in Zionist ,Political Thought ,1882,1948,Institure of Palestinian Studies , Washington Dc.1992.

أمين الحسيني، أسباب كارثة فلسطين، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.

(٢٠) جمال حمدان، اليهود أنثروبولوجيا، كتاب الهلال، ط. القاهرة ١٩٦٧م.